كتاب

"مئة قصيدة وقصيدة" لجودت حيدر بالإنكليزية والفرنسية
أخلاقية السلام وإبداعية الحقيقة الصلبة

ها هي "دار النهار" تنقل مجموعة شعرية لجودت حيدر (1905-2006)، مؤلفة من مئة قصيدة وقصيدة، مكتوبة بالإنكليزية (فانتاج برس)، إلى اللغة الفرنسية، وتنشر القصائد باللغتين. يتضمن الكتاب، بالإضافة إلى تمهيد جيسون إوين، بروفسور الكتابة الإبداعية في الجامعة الأميركية اللبنانية، نصوصاً فرنسية متنوعة، يقابلها أصلها الإنكليزي. وقد ترجم المجموعة كل من إيما حلو وندى سليمان من جامعة القديس يوسف، وعملت "دار النهار" على نشرها بالتعاون مع عائلة الشاعر الراحل.

روجيه عوطة

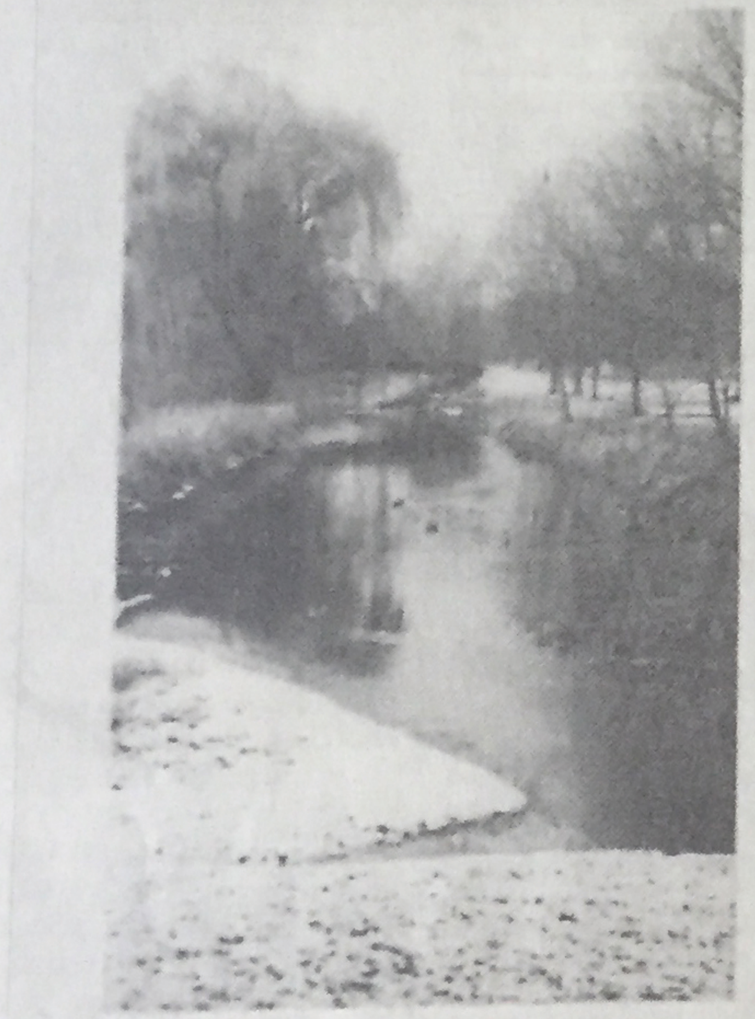

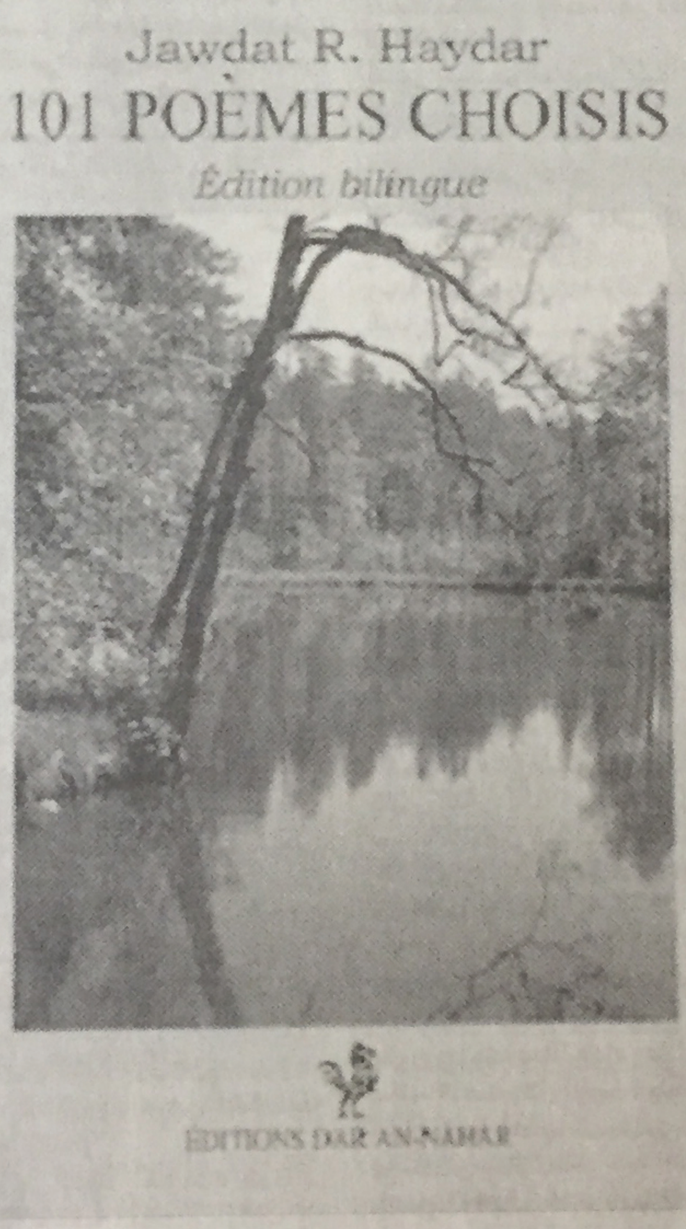

يحدد جودت حيدر دور الشاعر كوسيط بين الطبيعة والعالم، ويعيّن الأدوار التي في إمكانه أن يؤديها خلال مساره الخلّاق. فنتيجة تميّزه بصنعة الخلق، يقدر الشاعر على كشف الصور غير المرئية، التي لا يمكن العين التقليدية أن تراها، مُظهراً آثار اليأس والألم والحب. كما يحلق الشاعر في عالم المعارف، ولاسيما التاريخية، من أجل ابتكار وسائل جديدة، تسمح له بتطوير الحضارة. ولا يتحقق دوره المعرفي بسوى النبالة، التي تدفعه إلى تقديم إرثه الخلّاق للآخرين، فيعينهم على معالجة مشكلات الواقع. تتسم أدوار الشاعر بأخلاقية كونية، تدفعه إلى الإنفتاح على الأمكنة والأزمنة، فيحاول الإستنتاج من المراحل التاريخية، وتظهير آثارها في الحاضر. تالياً، يرتبط مفهوم الشعر عند حيدر بإيطيقيا السلام حيال الحضارات الماضية، وهي، بالنسبة إليه، "كنز" داخل سيرته الذاتية، إذ تساعده على التمسك بالمألوف والمجهول في الوقت عينه.

فمن الممكن تقسيم أدوار الشاعر ثلاثة: دور إبداعي، ثان حضاري، وثالث إنساني. وبسبب وساطته بين الطبيعة والعالم، يسعى حيدر إلى التوفيق في استعارته بين الصورة الشعرية والواقعة الحضارية، بحيث يحافظ على العلاقة بين الإثنتين، ويباشر كتابة القصيدة بالإستناد إلى جُملة تأريخية، لا تبتعد عن القيمة الأدبية، ولا تتعلق بالسرد الخالص. فعندما كتب الشاعر عن مدينته بعلبك، انطلق من حطامها القديم، وألف زمنها المضارع من آلهتها وإرثها. كما لم يغض النظر عن تبدلاتها، وتشققاتها الزمنية، التي هددت الأمبراطورية الرومانية بالزوال، وتستمر في تهديدها التاريخ، الشبيه إلى حد بعيد بواحة، يتوهم العطشان أنها مأهولة، لكنها تقع، في النهاية، على الشفير بين الطبيعة والعالم، أو بالأحرى، بين الصورة والإستعارة.

يتجول حيدر بين العناصر الطبيعية، ويستخدمها كلاسيكياً في تشكيل نصه. إذ تنطوي الجُمل على معان شعرية، تحافظ على الحدود بين السماء والأرض. أي أنها لا تخلط بين الفضاءين، ولا تخترقهما بسوى الزمن، الذي يذكره الشاعر كعنصر مزيل للآثار الطبيعية. في الوقت نفسه، لا يمكن إعتبار الزمن عنصراً حضارياً، بل ينفذ إلى الطبيعة والحضارة ويجتازهما من دون التشبث بنتائج الحرب التي تدور بينهما. يسجل حيدر في نصوصه خسائر المعارك بين الطرفين، معتقداً أن التاريخ يَشيده الحطام، وأن الطبيعة، مهما تغيّرت عناصرها، لا تحكمها سوى النهاية.

فبالنسبة إلى الشاعر، لا يقدر المرء على خداع الزمن، والتلاعب بلحظاته، أو تدارك آثاره الظاهرة على الوجه أو الجسد. وذلك، لأنه، من ناحية، عبارة عن "حقيقة" صلبة، كما أنه، من ناحية أخرى، الدافع إلى الإقتراب من الغير والتفاعل معه. لذا، يصبح الزمن في قصيدة حيدر قوة غيرية، من الضروري أن يتصالح المرء معها، كي لا ينفصل عن ظله، أو تنقلب علاقته مع الأرض. فتخونه الجاذبية، وتعرّضه للسقوط الآدمي من سماء الحضارة إلى هاوية الطبيعة، حيث يتحول كائناً معزولاً، يطرده الزمن من فردوسه، لأنه لم يلتزم الصمت حيال الدمار الحضاري.

> يميل جودت حيدر إلى السلام بين العناصر الزائلة والجامدة، كما ينحاز إلى الجمع بين النهايات والبدايات، قبل أن يتخطاهما إلى "ما بعد الحدود، ما بعد الزمن"

في النتيجة، كي يصبح المرء شاعراً، عليه أن يصالح بين الحقيقة والهاوية، ويثق بالتوليف الذي يصنعه الزمن في العلاقة بين الطبيعة والحضارة. كما عليه أن يتفلت من ثنائية البداية والنهاية، أو بالأحرى الحياة والموت، لأن الزمن دائم الحضور بعيداً منهما، "الموت للذين يتحدثون عن الجنة والجحيم/ مع أو من دون أمل بالقيامة/ يرقدون مرة واحدة إلى الأبد، وليسوا إلا كومة من العظام النتن". فالوجود لا ينطفئ عند هذا الحدث التاريخي أو ذاك، بل أنه يحتجز كل الوقائع ويكررها. فلا يحضر في قلب الزمن سوى الصدى، الذي تخلقه سرعة الوجود، وتشير من خلاله إلى زوال الطبيعة وانتهاء الحضارة، بعيداً من الجمود الأبدي لبعض العناصر، وفي مقدمتها الضوء. من هنا، يميل جودت حيدر إلى السلام بين العناصر الزائلة والجامدة، كما ينحاز إلى الجمع بين النهايات والبدايات، قبل أن يتخطاهما إلى "ما بعد الحدود، ما بعد الزمن".

في هذا المكان، لا يقلق الشاعر من الفقدان الزمني، لأن الموت، بالنسبة إليه، معادلة بسيطة، إذ يجيء المرء إلى الحياة بهدف مغادرتها، ويمارس وجوده كي يتعداه. لذا، يكتب حيدر قصائده كي يتخطاها، ويخرجها من دلالاتها غير المتشظية داخل النص بسبب تأليفه التقليدي. إذ يمتاز شعر جودت حيدر بكلاسكية مشذبة لغوياً وموضوعاتياً، تمكنه من تخطي ثنائية الطبيعة والعالم، والتوليف بين "الشرق" و"الغرب"، قاصداً الإنتهاء من "الصراع" بين الطرفين بالشعر وإيطيقيا السلام.